Arab Journal of Sciences and Research Publishing
Volume (7), Issue (3): 30 Sep 2021
P: 57 - 74

AJSRP
ISSN: 2518-5780

المجلة العربية للعلوم ونشـر الأبحـاث
المجلد (7)، العدد (3): 30 سبتمبر 2021 م
ص: 57 - 74

Poetry of wine in Ibn Zaidoun's Andalusian Diwan: An objective analytical study

Hamzah Abed-Alsalam Al-Khatatneh

College of Arts and Sciences || International Islamic Sciences University || Jordan

Abstract: This study aims at exploring a very important aspect of the most prominent life rituals that the Andalusian poet Ibn Zaydun lived during his compilation of the poems of the wine. They formed in his collection a symbol of deep artistic significance, reflecting the images of himself and his emotions in their furthest limits. Therefore, his literary work was fertile. This came up with his description of the psychological state that dominated him in the various fields in which he narrated the poems of wine, such as love, smiling nature, captivity and praise. All this raised up the faculty of poetry in Ibn Zaydun, making the rituals of drinking wine a distinguished world for him. In the introduction to the study I dealt with introducing Ibn Zaidoun and the influence of the Andalusian nature on him in the systems of the most beautiful poems and poems, and in other studies of the study that included describing the wine, describing its drinkers and drinking boards, and I tried in this study to reveal the close relationship between wine and spinning poetry, and to clarify the role of wine In influencing the psychological state of Ibn Zaidoun.

Keywords: Andalusian poetry, Wine poetry, Ibn Zaydun's poetry.

الخمريات في ديوان ابن زيدون: دراسة موضوعية فنية

حمزة عبد السلام الختاتنة

كلية الآداب والعلوم || جامعة العلوم الإسلامية العالمية || الأردن

المستخلص: نهضت هذه الدراسة للكشف عن جانب في غاية الأهمية لأبرز طقوس الحياة التي كان يعيشها الشاعر الأندلسي ابن زيدون، إبان نظمه لأشعار الخمرة، وقد شكلت في ديوانه رمزاً ذا دلالة فنية عميقة، مترجمة صور ذاته وانفعالاته في أبعد حدودها، فكان نتاجه الأدبي ثريّاً؛ خلال وصفه للحالة النفسية التي طغت عليه في شتى الحقول التي سرد فيها أشعار الخمرة، كالحُب والطبيعة الباسمة والأسْر والثناء، كل ذلك ارتقى بمَلَكَة الشعر لدى ابن زيدون جاعلاً من طقوس تناول الخمرة عالماً مميزاً لديه. فتناولت في مقدمة الدراسة التعريف بابن زيدون وتأثير الطبيعة الأندلسية عليه في نظم أجمل القصائد والأشعار، وفي مباحث أخرى للدراسة تضمنت وصف الخمرة، ووصف سقاتها ومجالس شرب الخمر، وقد حاولت في هذه الدراسة الكشف عن العلاقة الوثيقة بين الخمرة وشعر الغزل، وتبيين دور الخمرة في التأثير على الحالة النفسية لابن زيدون.

الكلمات المفتاحية: الشعر الأندلسي، شعر الخمرة، ديوان ابن زيدون.

المقدمة.

تتفق المصادر التي أرّخت الشعر الأندلسي، ورصدت تطوراته ومسيرته في عصوره المختلفة، على أن الشعر العربي القديم كان العامل الأساس في دعم نشأة وتطور الحركة الشعرية في الأندلس، بما في ذلك تأثر الشعراء الأندلسيين بشعراء العصور التي سبقتهم كذكر صفاتهم وتقليد أشعارهم وآدابهم، التي تمثل المرتكز الذي انطلقت

منه النهضة الحضارية الشاملة للحركة الشعرية الأندلسية، لذا كان اهتمامهم بالشعر القديم يُعدّ حافزاً على تدوين كل شاردة وواردة فيه، وقد بدأ التأثر واضحاً في حقب متلاحقة. (حمود، 2016، ص152-153). وكان للأدب الأندلسي نصيبٌ كبير من الإبداع الأدبي الذي برع به الشعراء على مرّ الأزمان، فشهد الأندلس في القرن الخامس الهجري أعظم إشراق أدبي لم ينحصر في ضرب واحد من الشعر فكان شعر الخمرة أحد أبرز تلك الفنون، وقد رسّخ وجود الشاعر العربي على أرض جزيرة الأندلس معاني العربية الفصيحة في تلك البلاد.

(وللطبيعة أثرٌ على الشعراء بتقلبات أحوالها وتغيرات أنوائها، فالبرد والثلج أيام الشتاء وانتعاشات النسيم العليل وسنا الفجر العبق على امتداد أماسي الفصول وغدوتها هذه كلها من المنشطات لشرب الخمر وعقد مجالسها (السعيد، 1985، ص202). فهذا ابن زيدون الوزير العاشق، شاعر الحب والسياسة، في محتوى قصائده التي لم تكن جيّاشة لو لم تعبقها قهوة السّاقي نديمة العاشق، ومنادمته للخمرة وما جلبت له من حسٍّ مرهف تغنّى خلاله بمعشوقته ولّادة التي لم يتوانَ في نظم أجمل قصائد الغزل في حبّها. وعلى هذا المِنوال وجذوره سار ابن زيدون ولم تزلّ قريحته عن نظم أجمل القصائد والمقطّعات في وصف الخمرة، مبدعاً في وصفه لمجالس اللهو ومعاهده ومنادمة الساقي، مسجِّلاً أعذب الأشعار التي قالها إبان تعاطيه الخمرة، التي تبلورت صورتها الفنية نتاج عدة ظروف مرّ بها.

والمجتمع الأندلسي (يميل بطبعه إلى حياة اللهو، وهو مجتمع مدني مترف تنوعت أجناسه البشرية، لا سيما أن العنصر الرئيس فيه هم سكان البلاد الأصليين الذين انتشرت في بيئتهم حانات الخمر، وكانوا يعقدون المجالس عليها، كما كانت لهم فيها عادات وطقوس) (اختيار، 2008، ص72).

لقد عني الأندلسيون بوصف الخمر لشغفهم بها وإقبالهم على شربها؛ ولأن طبيعة بلادهم وما فيها من متنزهاتٍ ورياض وأنهار يحمل النفس على طلب اللهو والشراب، فأجادوا نعتها ووصفوا آنيتها وساقيها، ونديمها، وكل ما يجري في مجالسها من غناء وعبث. فارتأيت من خلال هذه الدراسة الإحاطة بهذا اللون من شعر ابن زيدون، لبيان الغموض الذي اكتنف الشاعر في تحقيق الرمزية الدلالية إبان نظمه لأبيات ومقطعات خصصها في الخمرة ودلّ عليها من خلال أدوات كانت في معظم الأحيان ظاهرة للمتلقي، إلا إنها أضمرت جانباً مظلماً لحياته بعدما زُجّ به في غياهب السجن ظلماً وبهتاناً، وأُبعد عن الوزارة وشاية وزوراً، وأنكرت ولّادة حبه لها؛ ذلك الثالوث الأهمّ في حياة الشاعر هو صاحب الفضل في تكوين شخصيته المتمثلة في ديوانه.

وقد استقام بناء هذه الدراسة على مقدمة تناولت من خلالها التعريف بابن زيدون ودور الطبيعة الأندلسية في نظم أجمل القصائد والأشعار، وأربعة مباحث تضمن أولها التعريف بابان زيدون وصف الخمرة وأسمائها في ديوانه، وجاء المبحث الثاني لوصف المجالس والسقاة، وتناول المبحث الثالث العلاقة الوثيقة بين الخمرة وشعر الغزل، وفي المبحث الرابع: بينت دور الخمرة وتأثيرها على الحالة النفسية لابن زيدون، وخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة والتوصيات.

أهمية الدراسة:

تتبدّى أهمية الدراسة في التعمق بظاهرة بارزة في ديوان الشاعر ابن زيدون وهي شعر الخمرة، وسَبْر غوره للاطلاع على الحالة النفسية له إبان نظمه لهذا الضرب من الشعر، وربطها بالمعنى العام في البيت والقصيدة، وتعدد أسماء الخمرة وصفاتها كان له الأثر الكبير على أشعار ابن زيدون.

مشكلة الدراسة:

وأما عن مشكلة الدراسة فهي تكمن في عدم التطرق لهذا اللون من الشعر في دراسات الباحثين، فعلى الرغم من تشكيل شعر الخمرة نسبة غير قليلة في ديوان ابن زيدون إلا أنه بقي في مضمونه معبراً عن دلالات مبهمة كانت

بحاجة ماسة للوقوف عليها، والكشف عن مضمون القصائد والمقطوعات التي احتوت على شعر الخمرة وربطها بالحالة النفسية التي أدت بالشاعر إلى نظمها.

الدراسات السابقة:

- الشعر الخمري عصر سيادة قرطبة (حوران، 2008، ع13) بحث منشور في مجلة جامعة الأنبار، تناول الباحث من خلاله الحديث عن وصف الخمرة وأدواتها، وفي المبحث الثاني: وصف سقاتها وشاربيها، وفي المبحث الثالث: تحدث عن المعاني المطروقة فيها والصور التي رسمتها، فقد تمحورت الدراسة في الشعر الخمري بشكل عام ولم تتخصص في الحديث عن الشاعر ابن زيدون وشعره كدراستنا هذه التي تخصصت في شعر الخمرة في ديوان ابن زيدون.
- اللون في الأغراض الشعرية (ابن زيدون وابن خفاجة)، (عبد الله، 31، 2013-3)، بحث منشور في مجلة الجامعة العراقية، تناول الباحث من خلاله ظاهرة اللون في الشعر الأندلسي متخذاً من شعر ابن زيدون وابن خفاجة أنموذجاً، وقد تطرّق الباحث في دراسته إلى العديد من أبيات الشعر التي تناولت الخمرة في ديوان ابن زيدون موضوع دراستنا، رابطاءً ذكرها بذكر اللون في شعره وما له من دلالات مرتبطة بالصور الفنية، إلا أنها لم تتعمق في شعر الخمرة موضوع دراستنا.
- أما (خضر، 2004) في كتابه "عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون "، فقد تعرّض في الفصل الأول لدراسة بنية القصيدة عند ابن زيدون، جاعلاً الفصل الثاني في البناء اللغوي والبناء الأسلوبي، وفي الفصل الثالث بحث في البناء التصويري، وفي الفصل الرابع قام بدراسة البناء الموسيقي، وبالتالي فإن هذه الدراسة لم تتطرق للخمريات في ديوان ابن زيدون.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، فمثّل هذا المنهج أداة ضليعة في استكشاف مواطن شعر الخمرة عند ابن زيدون؛ وإماطة اللثام عن المحتوى العميق في إسقاط شعر الخمرة على حالته النفسية في جميع الأغراض التي تناولها إبان نظمه للشعر.

المبحث الأول: ابن زيدون وأسماء الخمرة في شعره

المحور الأول: التعريف بابن زيدون:

هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزوميّ، الأندلسي، من مدينة قرطبة، الصاحب الوزير، العلّامة أبو الوليد، ولقب بحاملُ لواء الشعر في ذلك العصر ت (463هـ). قال عنه ابن بسّام: كان غاية منثورٍ ومنظومٍ، وخاتمة شعراء بني مخزوم، أحد من جرّ الأيام جرّاً، وفاق الأنام طُرّاً، وصرّف السلطان نفعاً وضرّاً، ووسّع البيان في النظم وفي النثر، ولا للبدر تألقُه، وشعر كالسحر في بيانُه،... إلى أن قال: كان من أبناء وجوه الفقهاء في قرطبة، ثم انتقل إلى صاحب إشبيلية المعتضد بن عباد، بعد الأربعين وأربعِ مئة، فجعله من المقربين، وعمل عنده في شكل وزير. (الذهبي، 2004، ص819)

ويصفه الفتح بن خاقان (ت 528هـ) قائلاً: بهرِ بنظامه، وظهر كالبدر ليلة تمامه، فجاء من القول بسحر، وقلده أبهى نحر، لم يصرفه إلا بين ريحان وراح، ولم يطلعه إلا في سماء مؤانسات وأفراح، ولا تعدّى به الرؤساء والملوك ولا تردى منه حظوة كالشمس عند الملوك، فشرّف بضائعه، وأرهف بدائعه وروائعه " (الإشبيلي، 1989،

ص176). وتتجلّى منزلة ابن زيدون فيما ورد عند المقرّي حين قال: قال فيه الأدباء: الذي لبس البياض وتختم في العقيق، وقرا لأبي عمرو، وفقه للشافعي، وروى شعر ابن زيدون، وكان يسمى ببحتري المغارب لحسن ديباجة نظمه، وسهولة معانيه. (المقري، 1988، ص566)

وامتاز ابن زيدون خلال مسيرة حياته بمشاركته الوجدانية للآخرين، إضافة إلى انعكاسات واضطرابات العصر في شعره، بالإضافة إلى ما كان يعتري نفسية الشاعر من هموم وأحزان دفينة أثقلت نفسيته فظهرت انعكاساتها جلية على شعره، وبقي ابن زيدون حاملاً هموم عصره، وهموم الآخرين وهمومه، وقد ترك أثراً واضحاً في الحركة الشعرية العربية قديماً وحديثاً، بدليل أن الدراسات تناولته في أكثر من جانب من جوانب تجربته الشعرية. (موسى، 2016، ص15)

المحور الثاني: أسماء الخمرة في شعر ابن زيدون

سار ابن زيدون على نهج القدامى في ذكر أشكال الخمرة (فقد قال الأعشى فيها شعراً رائقاً في الجاهلية وتعامل معها الأخطل التغلبي على عصر بني أمية الباكر، ثم كان الملك الأموي الوليد بن يزيد مفرطاً في شربها مبدعاً في وصفها) (الشكعة، 1973، ص195). ووصْف الشعور الذي ينتاب من يتعاطاها وسرد صفات الساقي، وتبين من خلال ديوانه أن الخمرة لها أصناف عديدة وتختلف مصادر صنعها وأماكن جلبها. يقول ابن زيدون حاثّاً نديمه على شرب الخمرة: (المخزومي، 1994، ص23)

وأشرب فقد لذ ّ النسيمُ *** ورقّ سربال ُالهواء

فنجده يدعو للشرب تزامناً مع هبوب الريح الخفيفة لِما فيها من لذّة تُذهب الهمّ والتّعب.

أولاً: الخمر

خمر الشيء يخمِرهُ ويخمُرهُ خَمْراً ستره، والشهادة كتمها، وفلاناً سقاه الخمرُ. والعجين ونحوه جعل فيها الخمير وتركهُ حتى يجود. وخمر منه استحيا، وخَمِر فلانٌ عنّي يخمَر خَمَرَاً توارى. وعنه الخبر خَفيَ، والشيء تغير عنّا كان عليه. والنبيذ صار خمراً، والمرأة لبست الخمار، واستخمر فلانا ًاستعبدهُ وهي كلمة يمانية، الخمار كثرة الناس، والخمار النصيف وهو ما تغطّي به المرأة رأسها، وفي القرآن الكريم ﴿وليَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ عَلى جُيُوبِهِنّ﴾ (النور، 31) أي ستراً لأعناقهنّ. الخمر ما يُسكر من شراب العنب وهو علمٌ مؤنث ويذكّر. قيل لأنها تم تحريمها وفي المدينة لا توجد وكانوا يشربون البسر والتمر فقط. وفي الكليات وكل شراب مغطٍّ ٍ للعقل سواءً كان عصيراً أم نقيعاً مطبوخاً كان أو نيّا ًفهو خمر، وفي سورة المائدة ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخَمْرُ والمَيسِرُ والأنصابُ والأزلامَ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشيطان فاجتنِبوه لعلكم تُفلحون﴾ (المائدة، 90)، وتسمى الخمر خمراً؛ لأنها تغيب العقل أي تغشيه ولأنها تُترك حتى تُدرك وتختمر وتُخامر عقل الإنسان فتخالطه. (البستاني، 1977، ص254)

يعد اسم الخمرة من أكثر الأسماء رواجاً في الشعر العربي بإطاره العام؛ لأنها فصل المصطلحات التي تشير للخمرة في معاجم اللغة العربية، لذلك جاءت بوفرة لدى جميع الشعراء في مختلف العصور إلى أن أصبحت تحمل أسماء عديدة، والشعراء الأندلسيون استخدموا للخمرة أسماء عدة، ومنهم الشاعر ابن زيدون محور دراستنا كان قد ذكر غير اسم للخمرة، وسوف نفصل الحديث عنها خلال هذه الدراسة، فمن المقطوعات التي حملت اسم الخمرة من ضمن أشعار ابن زيدون مقطوعة (ورد وخمر) يقول فيها: (الديوان: 136)

كأنّ عشيّ القطر في شاطئ النّهر *** وقد زهرت فيه الأزاهرُ كالزهـر ِ

ترُشّ بماء الورد ِ رشّا ًوتنثني *** لتغليف أفواه ٍ بطيّبة الخمر ِ

فكأنّ مساء القطر في شاطئ النهر، وقد تفتحت فيه الأزهار النيرة، تُرشّ بماء النّدى وتلتوي لتغلّف أفواهاً طيبة كالخمر. وقد برع ابن زيدون في إقحام الخمرة ضمن شعر المدح والغزل في آن واحد، يقول: (الديوان: 102)

له خلقٌ عذبٌ وخلقٌ محسّنٌ *** وظرفٌ كعرف ِ الطيب أو نشوة الخمرِ

ويبدو أن هناك مَن كان يرغبها مثلجة لدرجة التجمُّد ومنهم من كان يرغب في تناولها وهي شراب ذائب ويتضح ذلك من خلال قول ابن زيدون: (الديوان: 263)

فلو تجمدُ الراح لم تعْدُها *** وإن هي ذابت فخمرٌ تحِلّ ِ

يشير ابن زيدون خلال هذا الشاهد إلى إباحة شرب الخمر لدى العامة مع العلم بتحريمها في الدين الإسلامي؛ مما يلفت انتباه المتلقي لموضوع في غاية الأهمية يتضمن بُعد أهل الأندلس في تلك الآونة عن تعاليم الدين باستباحتهم للمحرمات. وفي المعنى ذاته يقول في مدح ابن جهور: (الديوان: 80)

أباح حِمى الخمر الخبيثة حائطاً *** حِمى الدّين من أن يُستباح له حدّ ِ

فطوّق باستئصالها المِصرَ مِنّـةً *** يكاد يؤدّي شُكرها الحَجَرُ الصّلدُ

هي الرجسُ إن يُذهبهُ عَنهُ فمُحسِنٌ *** شهيرُ الأيادي ما لِألائِهِ جَحِدُ

وكان ابن جهور كسر يومئذٍ دنان الخمرِ، (الشنتريني، 1978، ص239) والشاعر ربما لم يصدر عن قناعة شخصية كاملة وتدين، لما عرف عنه من الشرب ومجالس اللهو، فهو يجاري السلطة في موقفها من إراقة الخمر واستئصالها. (الباجلاني، 2013، ص38)

ثانياً: الصّهباء

صَهْباءُ: مؤنث الأصهبُ والخمرُ أو المعصورة من العنب الأبيض، وهو اسمٌ لها كالعلم، قيل سُمّيت بذلك للونها، وأصهَبُ بعيرٌ ليس بشديد البياض والذي يخالط بياضه حمرةٌ وهو أن يحمرّ أعلى الوبر وتبيضّ أجوافه، والأصهب أيضاً الأسد وعينٌ بالبحرين، وما يخالط بياض شعرة حمرة والأنثى صهبا والجمع صُهْب (البستاني، ص521)، تردد اسم الصهباء مرات عديدة في ديوان الشاعر ابن زيدون، وكما أسلفنا فإنها تشير للخمرة الصفراء التي يخالط لونها البياض والحمرة. وفي تفضيل الخمرة على العسل يقول الشاعر: (الديوان: 24)

يفضح الشّهد طعمهُ كلّما قيـ *** س إليه ويُخجل الصهباء

فالخمرة في رأيه أفضل من العسل إذا ما قيست به وذات تأثير شديد للنشوة، ومن الأصناف المفضلة لديهم تلك التي اختلطت بالماء البارد، يقول ابن زيدون: (الديوان: 50)

عنّفْه ِ بالله على فعلـه *** واشتِمْ وإن لم يستقِم، فاضرب

وعاطِهِ صهباء مشمولـة ً *** يرى لها المشرِقَ في المغرب ِ

وليشرب الأكثر من كأسه *** واعمِد إلى فضلته فاشرب ِ

عُقوبة ً أحسن بها سُنّةٌ *** في مثلهِ من حَسَنٍ مُذنِب ِ

قيل للخمر مشمولة إذا كانت باردة الطعم (الرازي، 1925، ص268) والخمرة الصفراء هي التي يميل لونها للحُمرة والممزوجة بالماء؛ فهي تُذهب العقل بسرعة كبيرة حتى يجد شاربها نفسه لا يميز الشرق من الغرب، في دلالة على سطوة هذا النوع من الخمرة على عقل متعاطيها.

ثالثاً: القهوة

جاء في المحيط: الرجل أقهاء، دام على شرب القهوة وأطاع السلطان، وأصلها القَهْو اللّبن المَحْض أو التيس الضخم القرنين المُسِنّ، الشبعة المحكمة واللبن المحض والرائحة والخَمْر، قيل سُميت الخمر بذلك لأنها تذهب شهوة

الطعام، والمولّدون يسمون شراب البُنّ بالقهوة وربّما سمّوا البُن نفسه قهوة ً (البستاني، ص761) حيث تعد القهوة من أشهر الأسماء التي نالتها الخمرة على مدى العصور، يقول ابن زيدون في وصفها: (الديوان: 689)

وشادن ٍ أسألهُ قهوة ً*** فجادَ بالقهوة والورد ِ

فالقهوة في الشاهد هي الخمر وتسميتها بذلك جاء لما فيها من تعديل مزاج شاربها تماماً كالقهوة، و هي الخمرة التي طلبها ابن زيدون من ذلك المغني والمترنم، ويظهر من خلال الشعر اقتران الخمرة بالغناء.

رابعاً: الشّمول

الشّمول: ريح الشمال والخمر أو الباردة منها قيل لها؛ ذلك لأنها تشمل بريحها الناس أو لأن لها عصفة كعصفة الشمال أو لأنها تجمع شمل شاربها أي تضمّهم، وقيل لأنها تشتمل على العقل فتملكه وتذهب به، والمشمولة: الخمر أو الباردة منها أو المبرّدة في ريح الشمال. (البستاني، ص428)

هرع الشعراء إلى الحدائق الغنّاء وأمضوا فيها أوقات اللهو والغناء ومطارحة الأشعار، وقد رددوا هذا في شعرهم وفاضت به رسائلهم ومن ذلك قول ابن زيدون مخاطباً صديقه أبا القاسم بن رفق، متحدثاً عن حالته النفسية في تقدمه في السن فيشبه هذه الأيام والليالي بمجموعة من الصور ويتذكر في نهاية المقطع ذكريات مجالس الخمر في الطبيعة الجميلة: (الديوان: 116)

أين أيامُنا وأين ليالٍ *** كرياضٍ لبسن ِ أفْوَافَ زَهرِ

وزمانٌ كأنما دبّ فيهِ *** وَسَنٌ أو هَفا بهِ فرطُ سُكرِ

حين نَغدو إلى جَداولَ زُرقٍ *** يتَغَلغَلْنَ في حَدائِقَ خُضْرِ

في هِضابٍ مَجلوّة الحُسْنِ حُمرٍ *** وبوادٍ مصقولةِ النّبت ِ عُفرِ

نتعاطى الشمول مُذهبة السّر*** بال والجَوُّ في مطارفَ غُبرِ

في صورة فنية يجعل من خلالها الجو يلبس ثوباً رماديا ً مغبراً كناية عن لون الخمرة الذهبي، وفي إشارة إلى أن الخمرة هي أنيسة الوقت كيف ما كان الجوّ، وهي التي تؤنسهم ولا تطيب جلستهم بدونها، وهي السبيل إلى الراحة كما يقول: (الديوان: 235)

أراحُ إذا راح النسيمُ شآميا *** كأنّ شمولاً ما تديرُ الشمائل

فهو يتنفس ارتياحاً إذا هبّ النسيم باتجاه الشام كأن خمرة ما تدير الرياح الشمالية وتوجّهها، ومن المقطوعات الكاملة وعنوانها (التفاح الخمري) في وصف حُسن الخمرة وبهاء منظرها قائلاً: (الديوان: 265)

جاءتك وافدة ُ الشمول *** في المنظر الحسن الجميل

لم تحظ ذائبة لديـ *** ك ولم تنل حظ القبول

فتجامدت محتالــة ً*** والمرء يعجز لا الحويل

الكأسُ من رأدِ الضحى *** والراح من طَفَل الأصيل

كنّى عن الخمرة بحسناء تتصف بالخجل احتالت لكي تحظى بشرف الوصول إلى من تهوى في ذات صباح نديّ تعبقه نكهة من وقت الأصيل.

خامسا ً: العُقار

العُقار لغة: سميت الخمر بالعُقار لمعاقرتها، أي لملازمتها الدنّ أو لعقرها شاربها عن المشي، أو لأنها عاقرت العقل وأصلها من عقر الحوض وضربٌ من الثياب أحمر. (البستاني، ص619) فهذا أبو عامر ذو الوزارتين يبعث إلى ابن زيدون معاتبا ً هجرته وابتعاده عنه: (الديوان: 128)

تباعدنا على قُربِ الجـوارِ *** كأنّا صَدّنا شَحطُ المـزارِ
تطلّع لي هلال ِ الهجرِ بدراً *** وصار هِلالُ وصلِكَ في سِرارِ
ولمّا أن هجرت وطال غُفري *** عقرتُ هموم ِ نفسي بالعُقار
وكنت أزيدُ سَمْعَكَ من عِتابي*** ولكِن عاقَني قُرْبُ الخُمَار

يعاتبه فيها على ابتعاده وهجرانه عنه لدرجة أن صُداع الخَمرة أقلق أبا عامر، مما اضطرّ ابن زيدون بالردّ عليه بأبيات من ضمنها: (الديوان: 129)

هواي وإن تَناءت عنك داري *** كمثلِ هواي في حال الجوارِ
ولم أهجُر لعَتْبٍ غير أنّي *** أضرّت بي مُعاقرة العُقـار
وأن الخمر ليس لها خُمارٌ *** تُبرّح بي فكيف مع الخُمارِ

وفي الشاهدين السابقين لقد بدت لغة العتاب واضحة بين الاثنين، متخذاً من الخمرة وسيلة من وسائل تبديد الأحزان التي تلاحق أحدهم في حياته، وكتب أبيات وأرسلها مع هدية من عنب عذارى (عنب طويل الحبوب سُمّي بالعَذارى تشبيهاً له بأصابعهنّ) قائلاً: (الديوان: 131)

أتاك مُحيّياً عنّي اعتذارا *** عَذَارى دُونَهُ ريقُ العذارى
تخالُ الشّهدَ منه مُستمداً *** ونَفحَ المسكِ منهُ مُستعارا
يروقُ العين ِ منه جسمُ ماءٍ *** غدا ثوبُ الهواء له ِ شِعـارُ
ولولا أنني قد نلت منـه *** ولم أسكر لخلتُ به عُقارا

حيث تعدّ ثمار العنب من أكثر الفواكه انتاجاً لمادة الخمر، وجاء ذكرها في الشاهد دلالة على المودة التي بينه وبين الخمر، ولما لها من رمزية تثير في نفس المتلقي الآخر وهو المُهدى إليه شوقه للخمرة المعصورة من العنب.

سادساً: المُدام

المُدامُ: المطرُ الدائم؛ والمُدامُ والمُدامة: الخَمْر، سميت مُدامة؛ لأنه ليس شيئ تُستطاع إدامة شُربه إلا هي، وقيل لإدامتها في الدنّ زماناً حتى سكنت بعدما فارت، وقيل: سُميت مُدامة إذا كانت لا تنزف من كثرتها فهي مُدامة ومُدامٌ، وقيل سميت مدامة لعِتقها. (ابن منظور، 1999، ص214) والمُدام المطر الدائم والخمر، والمُدامة الخمر والمِدوَم والمِدوام عود يُسكّن به غليان القدر، والمُديم الراعف، والمَديم ما أصابته الديمة. يقال: مكانٌ مَديمٌ وأرضٌ مَديمة. (البستاني، ص300)

ويربط ابن زيدون استدامة السهر بشرب المُدامة في إشارة إلى دورها في التأثير على مُتعاطيها حتى الفجر، فالليالي صارت مظلمة بتأثير شدة المعاناة، مستخدماً من الليل رمزاً دلالياً واضحاً من خلال ذكره (الليل) خمس مرات في غضون أول بيتين من المقطع الشعري، قائلاً: (الديوان: 130)

وليلٍ أدمنا فيـه شُرب مُدامةٍ *** إلى أن بدا للصبح ِ في الليل تأثيرُ
وجاءت نجوم الليل تضرب في الدُّجى *** فولّت نجوم ُ اللّيل ِ والليل مقهورُ
فحُزنا من اللذات ِ أطيب طيبها *** ولم يعرُنا همٌّ ولا عاقَ تكديرُ
خلا أنه لـو طالَ دامَتْ مَسَرّتي *** ولكن ليالي الوصل ِ فيهنّ تقصيرُ

واصفاً الليلة التي قضاها في إشبيلية بأنها ليلة طويلة قضاها بشرب الخمر حتى بدت تباشير الصباح بالظهور (عبد الله، ص499). مُعيداً الكرّة هنا ومؤكداً أن مجالس اللهو والسهر التي كان يمضيها أهالي المجتمع

الأندلسي كانت تقام حتى الصباح وذلك يتجلّى من قول الشاعر بأن نجوم الصبح قد بدت ولم تجعل لنجوم الليل تأثيراً، إشارة واضحة لقيام تلك المجالس حتى الصباح، أي إلى أن يهزم ضياء الصباح ظلام الليل.

فدلالة ذكر المجالس في الشاهد السابق توضح لدى المتلقي مدى استجابة الشاعر لهذا الغرض من الأغراض الشعرية التي تعد من أبرز الموضوعات التي لاقت رواجاً لدى جميع الشعراء. وقد ارتبط هذا الاسم بغزل الشاعر بإحدى الحِسان قائلاً: (الديوان: 210)

ما للمُدام تُديرُها عيناك ِ*** فيميلُ في سُكرِ الصّبا عطفاكِ

هلّا مزجت لعاشقيك سُلافها *** بِبُرود ظَلَمِكِ أو بعَذْبِ لَماكِ

والسلاف هي الخمرة، أي ألا تمزجين لعاشقيك هذه الخمرة ببريق أسنانك أو بعذب شفاهك. يشبه الشاعر في هذه القطعة الغزلية الخمر بسمرة شفاه محبوبته، لما له من من مشابهة في اللون واختار الخمر خصوصا لما يبعثه من نشوة وارتياح فأراد أن تمزجه به بسمرة شفاهها وبريق أسنانها وهنا استعمل اللون الأسمر للشفاه لأن سمرة الشفاه من جماليات المراة عند العرب (الديوان: 495)، وهذه الحبيبة هي حبيبة رمزية أراد الشاعر ان يمهد بها للغرض الأساسي من القصيدة وهو المديح، فأراد أن تكون لها صفات من صفات الممدوح ومنها كثرة الأحباء، وللحب الحق ظواهر، ومن آياته مراعاة المحب لمحبوبه. (الأندلسي، 1989، ص398)

وفي نظر خضر: (فإنه لا يظن أن تكون المحبوبة في قصيدة ابن زيدون محبوبة حقيقية، إنما هي محبوبة رمزية، استدعتها التجربة الفنية في القصيدة) (خضر، 2004، ص47). وقد جرت العادة عند الأندلسيين بأن يجتمعوا على شرب الخمر في منازلهم وقصورهم ذات المجالس المعدّة في فخامة آسرة؛ وعلى سبيل المثال فقد أرسل ابن زيدون إلى أميره المعتمد بن عباد يشوقه لتعاطي المُدام في قصوره البديعة المنيعة، ومنها الثريّا والمبارك، يقول: (الديوان: 246)

وتمثّل القصر (المبارك) وجُنَة ٍ*** قد وسطتْ فيها (الثريّا) خالا

وأدِر هُناك من المُدام ِ أتمّها *** أرجَا زكا وأشقّها جِريالا

شرع ابن زيدون بالمقدمة الغزلية في تشبيه قصر المبارك بوجنة حسناء وبأن قصر الثريّا حبة خال في منتصفه، ثم يطلب من الساقي بأن يدير الخمرة. ومن طقوس شرب الخمر التي طالعنا بها ابن زيدون، قوله: (الديوان: 270)

يقدّم أفواه الكؤوس بتفـاح ٍ

إذا طلعت في راحِهِ أنجُم ُ الرّاح ِ

فإنا لإعظام المُـدام قيام

وذكرها بهذه الصيغة كناية عن لونها الذي يشعّ، فما أن يشاهدها رواد هذا المجلس تجدهم في حالة من التأهب والقيام لاستقبالها وتعظيماً لمجيئها إليهم. ومن طقوس تناول الخمرة شربها إبان القراءة؛ وقال وهو يحتسي الخمرة: (الديوان: 278)

وبلاغةٌ إن عُدّ أهلوها *** فأنت لها زعيـم

فِقَرٌ تسوغُ بها المُدام *** إذا تكرّرها النّديم

إشارة إلى مدى تأثير الخمرة على بعض المتلقين الذين لا يستسيغون شغف القراءة إلا بشرب القهوة.

سابعاً: الرّاح: الرّاح: الخَمْر، اسم لها. والرّاح جمْع راحَة، وهي الكفّ. والرّاح، الارتياح. (ابن منظور، ص46) والراح أيضاً الارتياح، تقول فقدت راحي في الشباب يوم ارتياحي أي نشاطي. (البستاني، ص357)

ويعد الراح من أشهر الأسماء التي تم تداولها للخمرة منذ بزوغ فن الشعر في الأدب العربي القديم وفي جميع العصور الأدبية، فقد ورد اسم الراح في قصائد معظم الشعراء وفي مختلف الأغراض الشعرية كالحب والسياسة والمدح والفخر والهجاء. ومن الصور الفنية التي طالعنا بها ابن زيدون في باب الغزل؛ رابطاً نشوات الشوق بنشوات الخمرة في إشارة بأنهما لا ينفصلان عن بعضهما البعض في قوة التأثير عليه قائلاً: (الديوان: 63)

وهل أنا منك في نشوات شوقٍ *** هَفَت بالعقل ِ أو نشواتِ راح

وكم أسقمت من قلبٍ صحيح ٍ*** بسُقم ِ جفونك المرضى الصحاح

مصوراً أثر شوقه لمحبوبته بغيابه عن الوعي، ويقابل الصورة في عجز البيت بذلك المُغيب عقله لشرب الخمرة، وفي سرد جميل في البيت الثاني يجعل الجفون الجميلة سببا في علّة القلوب السليمة.

ويلاحظ على ابن زيدون استخدام الألفاظ التي تحتوي على صيغة الأمر في بعض مطالع الشواهد وكأنه يوجه الأمر لخليله على اعتبار أن تعاطي الخمرة مشروط بالراحة، وذلك يتجلى في أحد المطالع التي يستهدي ابن زيدون المعتمد فيها خمراً ويسمي مقطوعته بـ (روح راح) يقول: (الديوان: 100)

يا بانياً كُلّ مجد ٍ*** وهادما ءِ كُلّ وجـد ِ

جِسم السرور سوي ٌ*** من صوغ ِ نُعماك عندي

فهب له رُوح ِ راحٍ *** ينطق بأحفل حمـدِ

يشير إلى رمزية ذات أبعاد مضمرة في طلبه ممن يدير الخمرة بضرورة شرب الخمرة الصافية كي ينطلق لسانه بأفضل الشكر والثناء على ما قدمه له، ومن الصور الشعرية في ديوان ابن زيدون صورة اللهو التي يعرضها بقوله على لسان كأس الخمر: (الديوان: 193)

أنا ظرفٌ لِلهو كُل ظريف *** أنا مُستودعٌ لِعِلق شريف

أنا كالصدر في الإحاطة بالرا *** ح إذا الراحُ كالضّمير اللطيف

سل عن الطيبات فهي فنون ٌ*** أُلِّفت فيّ أحسن تأليف

فيصفها بسعة الصدر كمن يستطيع احتواء الأمور والإحاطة بها. حتى أنها تتنافس في الجودة والطعم من ضربٍ لآخر: (الديوان: 249)

شيَمٌ يُنافِسُ حُسنها إحسانها *** كالرّاح ِ نافَسَ طَعمها الجِريالُ

كالطباع يتنافس فيها الحسن والإحسان، وقد اشتهرت الخمرة ذات اللون الأحمر وهي مصنوعة من العنب الأحمر وكانت تسمى بالجريال. وكانت الخمرة تُعدّ من أنفس الهدايا والأعطيات، وقد بعث ابن زيدون أبياتاً من الشعر لأبي جهور مع هدية من تفاح وكنّى عنها بالراح (الخمرة)، قائلاً: (الديوان: 263)

فلو تجمدُ الراح لم تعْدُها *** وإن هي ذابت فخمرٌ تحِلّ ُ

لها منظرٌ حسن في العيون *** كدُنياك لكنه منتقِل

وقد أشرت في موضع آخر إلى الفواكه التي كانت تُعصر منها الخمرة ومن ذلك التفاح كما يشير الشاهد "وإن هي ذابت" والضمير (هي) عائد على الهدية وهي التفاح، ومن ذلك قوله على المنوال نفسه وقد أهدى ابن زيدون للمعتمد تفاحاً وكتب معها مقطوعة أسماها (راح جامدة) قال فيها: (الديوان: 99)

دونك الراحة جامدة *** وفدت خير وافدة

وجدت سوق ذوبها *** عند تقواك كاسدة

فاستحالت إلى الجُمُو *** د، وجاءت مُكايدة

والراح تمثل الهدية وهي (التفاح). حتى أنها في نظر ابن زيدون دواء للهرم: (الديوان: 261)

وراحٌ تُعيدُ إلى من أسنّ *** طيب زّمانِ الصِّبا المُقتَبَل

بدلالة رمزية بأنها ستعيد إلى من تقدّم في السنّ الشباب الغضّ. ويقول في باب المدح: (الديوان: 40)

شهامةُ نفسٍ في سلامة مذهبٍ *** كما الماءُ للراح الشمول قِطابُ

المبحث الثاني: الساقي والمجالس في شعر ابن زيدون

لما كان شعراء الأندلس يتبعون خطى المشارقة في شتى أبواب القريض، فقد رأيناهم يتأثرون بهم في وصفهم لشعر الخمرة أيضاً، ولشدة شغفهم بالخمرة – إلى جانب المرأة والطبيعة – فقد عنوا بوصفها وأجادوا في تصوير مجالسها، كما برعوا في رسم الساقي والنديم ومجلس الأنس وتصوير آنيتها، ولقد كان أبو نواس أستاذهم الأكبر، يغرفون من معينه، ويتفننون في محاكاته منجرفين بفحشه وبمجونه حيناً وبالمغالاة أحياناً؛ لأنها من شروط المقلد. (غريب، 1979، ص53)

أولاً- الساقي:

الساقي لغة: جاءت كلمة السّاقي بمعناها اللغوي مشتقة من الفعل (سقى) (مادة: سقى). (منظور، ص167) وسقّاه وأسقاه دله على الماء. (آبادي، 1995، ص1166) وفي هذه الكلمة صورة واضحة وصريحة لصورة الساقي الذي يقدم الماء للعطشى. والساقي اصطلاحاً: هو مدير الكأس في مجلس الشراب ومقدم الخمرة للشاربين. (صدقي، 1957، ص266) وقد تفنن الشعراء في وصف الكؤوس وصوت قرعها وحمل الغلمان أو القيان لها وهي مترعة بما لذّ وطاب من الشراب بشتى أنواعه وأخصها الخمر.

ولم يبق إلا ما يسبق إلى الظنّ من أن الغلمان كانوا يسقون الخمر، ويعمرون مجالس الأنس والغناء والطرب، مع ما اشتهروا به من ظرف وجمال مما ألهب المشاعر والقلوب، ومع أن الأندلسيين لم يكونوا مبتكري هذا الضرب من الهوى إلا أن طبقات قوية من المجتمع –ولا سيما في مجتمع المدن –قد انشغلت به بما فيهم الأمراء والوزراء والقواد والفقهاء، كما فاضت قرائح الشعراء بفيض من الشعر الكثير فيهم. (النوش، 1990، ص371)

لم تخلِ أشعار وقصائد أي شاعر على مرّ العصور من ذكر الساقي الذي يصبّ الخمرة ويوزعها على النَّدامى، وقد نظم به الشعراء أروع وأجمل أبيات النسيب، في إشارة إلى رمزية تكاد تُنمي لدى المتلقي إيحاءات تفضي إلى قالب من مطالع القصائد التي تفنن ابن زيدون كمثله من الشعراء في تقليد أصولها والوقوف على أطلالها، فوصفوه بالظبي والأحور وكان ذلك الشادي الذي يطرب مسامعهم مما طاب من لحن القصيد. وقد تبوأ الساقي لدى شعراء الأندلس مرتبة عالية وذلك يبدو جلياً من خلال اقتران الخمرة وما لها من مكانة في نفوس الأندلسيين مع نظم الأشعار في وصف الساقي. وهذا ابن زيدون في إحدى خلواته يصف ساقٍ للخمرة أثناء مكوثه في إحدى الرياض قائلاً: (الديوان: 272)

قعدنا على حُمر النّبات وصُفره *** وظبيٍ يُسقّينا سُلافة خمره

وكناية عن ذكر الساقي فقد ذكر الشاعر الظبي كأحد رموز الجمال في وصف العرب لجمال عينيه وقوامه، وهو يسقي أفضل الخمر وأخلصُها. فكان الساقي موضع الغزل في كثير من الشواهد التي طالعنا بها ابن زيدون في لوحة فنية رسمها خالصة لأحد الغلمان، قائلاً: (الديوان: 275)

وأحور ساجي الطرف حشوُ جُفونـهِ *** سَقَامٌ برى الأجسام منه سَقامُ

تخالُ قضيب البان في طيّ بُردهِ *** إذا اهتزّ منه معطِفٌ وقوامُ

يُديرُ عليّ رغم العِدى من ودادِه *** سُلافاً كأنّ المسك منه ختامُ

حورِ الغلام والجارية يحوَر حَوَراً، اشتدّ بياضُ بياض عينيه مع السواد لسوادهما، واستدارت حدقتها، ورقّت جفونها، وابيضّ الذي حواليها أو اشتدّ بياضها وسوادها في شدة بياض الجسد أو اسودّت العين كلها، مثل الظباء والبقر ولا يكون في آدم، لكن قيل للنساء حور العيون؛ تشبيهاً لهنّ في الظباء والبقر فهو أحور وهي حوراء جمع حور. (البستاني، ص203) وفي الشاهد نجد الشاعر يجعل الساقي الذي يتميز بقوامه الجميل يخصّه بخمرة خالصة ممزوجة بحبه فيها رائحة المسك المختوم، بالرغم من كثرة الأعداء والحسّاد حوله. هذا ولا بُدّ من اختلاط الخمرة بألحان الوتر وسماع الموسيقى، فلا غنى عنهما للوصول للنشوة والمتعة، يقول: (الديوان: 124)

قُل لساقينا: يحُز أكؤسَهُ *** ولشادينا: يصل قطع ِ الوتَر ِ

حسبُنا سُكرٌ جَنَته ِ ذكرٌ *** دونه السُّكرُ الذي يجني السكَرُ

يكتفي هو وندماؤه بسَكرٍ يجنوه من التذاكُر والحديث حيث يفوق السّكْر الذي تسببه الخمر، والسكَرُ هي الخمرة المستخرجة من التمر، وتعد البيئة كما أسلفنا الذكر من أهم مقومات نظم الشعر في الأندلس لما تمتاز به من طبيعة خلّابة ورياض ومتنزهات دائمة الخضرة ويانعة الزهر على مدار العام، فيبدع ابن زيدون في إحدى مقطعاته التي نظمها على إحدى شواطئ جزيرة الأندلس، يقول فيها: (الديوان: 270)

ويومٍ لدى النّبتيّ*** في شاطئ النهر ِ

تُدار علينا الرّاح*** في فتيةٍ زُهر ِ

وليس لدينا فرش ٌ***سوى يانع الزهر ِ

يدور ُ بها عذْبُ اللمى *** أهيفُ الخصر ِ

ويكمن الرمز هنا إلى عناية الشعراء بالطبيعة حيث يفترشون شاطئ أحد الأنهار الذي يزخر بالزهور وفتية يديرون الخمرة، وقد طفق ابن زيدون يخلع على أحدهم الغزل العذري بوصف شفاهه وخصره. ومن قصائده (خَمْر ووَرْد) وهي مقطوعة قصيرة من بيتين فقط جعلها في وصف الخمر والساقي كنّى خلالها عن حمرة الخد بالورد قائلاً: (الديوان: 68)

وشادن ٍ أسألــهُ قهـوة ً*** فجادَ بالقهوة والـــورد ِ

فبتُّ أُسقى الراحَ من ريقه *** وأجتني الورد من الخدِّ

راسماً للساقي لوحة فنية قلّ مثيلها في باب الغزل، جعل خلالها وجنتي الساقي فاكهة تُعصر منها الخمرة اللذيذة وحديقة تُقطف الورود منها.

ثانياً- المجالس:

لقد استوحى الشعراء الأندلسيون العديد من الفنون التي كان لها صدى واسع في أشعار الجاهليين والعباسيين والأمويين، مثل التغني بمجالس اللهو والسهر حتى بزوغ الفجر ومنادمة القيان والساقي وشرب الخمر في تلك المجالس.

فالشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية الأولى، والصورة الصادقة لعادات العرب وتقاليدهم ومثلهم، فيه من القيم والصور الجميلة الرائعة والمعاني الدقيقة الموحية ما يجعله يعدّ بحقّ ذروة الشعر العربي، وقد كان القدوة المُثلى التي يحتذيها الشعراء في العصور الأموية والعباسية، يسعون إلى تقليده ومحاكاته، وقد بقى أثر الشعر الجاهلي واضحاً في شعر العصور المتأخرة وما زال له سلطانه في نفوس قارئيه وسامعيه، لما فيه من أصالة وجمال في التعبير ودقة المعاني والنضج الفني والموسيقى الموحية واللغة البارزة. (حمود، ص172)

وقد كان ابن زيدون في مقدمة الشعراء الذين نظموا في شعر الخمرة المقطعات والقصائد، التي كانت تُلقى في المجالس والمقاهي ومن خلالها يتعرف الشعراء على نتاج بعضهم، يبدي فيه الشاعر ما جادت به قريحته، يقول: (الديوان: 200)

ويا رُبّ ملهىً بالعقيق ومجلس
لدى تُرعةٍ ترنو بأحداق نرجس
مغيم ولكن من سنا الراح مشمس
إذا ما بدت في كأسها تتلألأ

يتغنّى الشاعر في أحد مجالس اللهو قرب جدول ماء ترنو قطراته كأنها عيون نرجس، يهبّ فيها هواء مؤنس هو ذلك مطلب النفس، وعلى الرغم من الغيوم التي تلفه ولكنه بقي مشمساً من شعاع الخمرة المتلألئة في الكؤوس. حيث تعد المعاهد هي المكان المفضل لاحتساء الخمرة، ونظم الشعر الذي كان يعد محور تجاذب الشعراء حينها، يقول ابن زيدون: (الديوان: 274)

معاهد لهوٍ لم تزل في ظلالها *** تُدارُ علينا للمُجون ِ مُدامُ
إذا طاف بالرّاح المُديرُ عليهم ِ*** أطاف به ِ بيضُ الوجوه كرام ِ

فقد كان يجتمع في تلك المعاهد الشيوخ وكبار القبائل ورجال من عليّة القوم. ويحث ابن زيدون الساقي في إحدى مقطوعاته التي تحتوي على الخمريات والمديح في آن واحد على توزيع الخمرة: (الديوان: 141)

أدِرها فقد حَسُنَ المجلس ِ*** وقد آنَ أن تُترع الأكؤس
ولا بأس إن كان ولّى الربيعُ *** إذا لم تجد فقدُه الأنفُسُ
فإن خلال أبي عامرٍ *** بها يحضرُ الوردُ والنرجسُ

فبعد اجتماع القوم في المجلس ومرور الوقت الكافي يحين موعد شرابهم المفضل فلا تصلح السهرة بدون الخمرة، وعلى الرغم من انتهاء موعد الربيع فإن أنفسهم لا تحس بفقده؛ والسبب أن الخصال الجميلة والصفات الرائعة التي يتمتع بها أبي عامر كالورد والنرجس في حضورها لدى من في المجلس. ثم إن اجتماعهم في المجالس لا يكتمل إلا بسماع أصوات القيان فهنّ اللواتي يطربن الحضور بصوتهنّ الجميل، يقول ابن زيدون: (الديوان: 216)

وأطل إلى شدو القيان إصاخةً *** وتلقّ مترعــة الكؤوس دِراكا
تحتثُّها مثنى مثاني ِ غادة ٍ*** شفعَتْ بِحَثّ غِنائِها الإمساكا

يخبرنا ابن زيدون ما كانت عليه مجالس اللهو، وما كان أصحابها مولعون به من شرب الخمور وسماع صوت الساقية، وهي تشدو ألحانها المقطع تلو الآخر ولا يثنيها عن الاكتفاء إلا الإمساك، وهو دليل واضح بأن مجالس اللهو كانت تقام حتى بزوغ الفجر. وقد أبدع ابن زيدون في إقحام الخمرة في الحرب وأهوالها، قائلاً: (الديوان: 57)

تعوّضت من شدو ِ القيان خلالها *** صَدَى فَلَواتٍ قد أطارَ الكرى ضَبْحَا
ومن حَملي ِ الكأس المُفدّى مُديرُها *** تقحُّمُ أهوالٍ حَملْتُ لها الرُّمحا

وفي دلالة رمزية يشير الشاهد إلى تحوله عن غناء القيان في مجالس اللهو وإصغائه إلى أصداء الصحاري التي تُبعد فيها الأصوات الغريبة النوم الهني، وعن حمل كأساً عزيزة يقدمها الساقي، اقتحم أهوالاً حملتُ لمواجهتها السلاح. ففي الموقف الأول يطرب لسماع صوت القيان إبان شربه وتلذذه بطعم الخمرة وفي الموقف الآخر يصغي إلى سماع صوت الحرب في ثنائية تبدو غريبة على شاعرنا نوعاً ما. ويقول ابن زيدون في مدح المُعتضد متطرقاً الحديث عن مجالس الأنس وتأثير الخمر في ما آلت إليه نفسيته: (الديوان: 217)

ما العيشُ إلا في الصّبوح بسُحرة ٍ*** قد جاسَدَت أنوارها الأحلاكا

لك أريحيّةُ ماجدٍ إن تعترضْ *** في لهوِ راحِكِ تَستَهِلّ لُهاكا
من كان يعلقُ في خلال ندامه *** ذمٌّ ببعض خِلالِه فخلاكَا
أُسبوعُ أُنسٍ مُحدِثٌ لي وحشةٌ *** علماً بأني فيه لستُ أراكا
فأنا المُعذّب غير أني مُشعَرٌ *** ثِقةً بأنك ناعِمٌ فهَناكا

ترمز الراح إلى الأريحية في قوله: (في لهوِ راحك) أي في خمرتك، فما يطيب العيش إلّا في شرب الخمرة باكراً قد خالطت أنوارها ظلمة السحر.

المبحث الثالث: الغزل والخمرة في شعر ابن زيدون

ارتبط شعر الغزل ارتباطاً وثيقاً بذكر الخمرة بشتى أسمائها وأصنافها، فوسط مجالس الشراب والطرب وَجَدَ الغزل مرتعاً خصباً له، وكأنها تساعد شاربها على الشعور بالانتقال من هذا العالم بما فيه والارتقاء مع محبوبه في عالم خاص مفعم باللذة.

والغزل من أبرز الفنون الشعرية التي لاقت رواجاً في جميع الأزمنة، وفي مختلف البيئات والأماكن، فلا تخلوا معظم القصائد من أبيات الحب والنسيب والغزل، حتى وإن كانت ترمز لمعنى آخر يريد الشاعر أن يوصله للمتلقي إلا أن أشعار الغزل تبقى شاهدة للعيان على إبداع الشاعر في إسقاطها على موضوعه الذي يريد. يقول وقد جعل الخمرة كريق محبوبته: (الديوان: 185)

وما ولعي بالراح إلا توهّمٌ *** لظلمٍ به كالراحِ لو يترشفّ

وفي معرِض حديثنا عن شعر الغزل لدى ابن زيدون نتوقف عند أشهر قصائده في ميدان الغزل؛ نونية ابن زيدون التي تعد أعمق نموذج شعري غزلي في ديوانه ويرجع ذلك لأنه استطاع استيعاب بشكل شامل ما كان سبباً في القطيعة بين الحبيبين من مستويات في العاطفة وعلى تعددها والتضارب في معظم الأحيان (العوادي، 2001، ص26). تلك التي نظمها بعد فراقه عن معشوقته ولادة بنت المستكفي ومطلعها: (الديوان: 301)

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا *** وناب عن طيبِ لُقيانا تجافينا
إن الزمان الذي ما زال يضحكنا *** أنساً بقربهم قد عاد يبكينـا
فانحل ما كان معقوداً بأنفسنا *** وانبتّ ما كان موصولاً بأيدينا
بنتم وبنّا فما ابتلّت جوانحنا *** شوقاً إليكم ولا جفّت مآقينا

حفلت القصيدة بكثير من مصطلحات المقابلة والتضاد وقد استخدم هذه الخصيصة الأسلوبية بقوله:

- التنائي ** تدانينا ** _ طيب لقيانا ** تجافينا
- يضحكنا ** يبكينا ** - فانحلّ ** معقوداً
- انبتّ ** موصولا ** - ابتلّت ** جفّت

مؤدّيّة كثرة استخدام المقابلة والتضاد في هذه القصيدة إلى تعميق المعاني التي توضح المفارقة بين حالين: ماضٍ وحاضر، وبين شخصين: ناء وقريب، وبين موقفين: هاجر وراغب في الوصال، وقد أعطى هذا الأسلوب للقصيدة قدرة على اقتحام القلوب ومتعة الفكر (خضر، ص15)، مقحماً في قصيدته أبياتاً عن الخمرة في إشارة منه للحالة النفسية التي دعته لاحتساء الخمر، وكما بينا في المقدمة على أنها كانت إحدى الأسباب الرئيسية في فتق قريحته للشعر بشكل عام ولشعر للخمرة بشكل خاص. قائلاً: (الديوان: 302)

نأسى عليكِ إذا حُثّت مُشعشِعةٍ *** فينا الشَّمول وغنّانا مُغنّينا
لا أكؤس الراحِ تُبدي من شمائلنا *** سيما ارتياحٍ ولا الأوتارُ تُلهينا

في إشارة لحزنه الشديد على فراق من أحب، فقد كان شعر الغزل مقرونا بشكل واضح بتناول الخمرة ووصف لحظات شربها.

وكما أشرت في المقدمة فإن الحالة النفسية للشاعر أدت به إلى استخدام بعض الحروف في الدلالة على ما يمر به، ومن ذلك امتداد صوت الشين الذي جعله يعطي بعداً نفسياً ودلالياً يتمركز بلفظتي (شربا/ مشعشعة) انسجاماً مع رغبة الشاعر في امتلاك النشوة المتولدة في النظرة إلى وجه المحبوبة كلما تذكر أيام وصله بها. (الحيالي، 2013، ص173) والشاعر عانى ما عاناه من الجوى فكان أشهر شعراء الغزل في عصره، يقول متغزلاً: (الديوان: 75)

فهُبّ إلى اللذات مؤثِرَ راحةٍ *** تجُمّ بها النفس ِ النّفيسة للكـدّ ِ

ووال بها في لؤلؤٍ من حَبَابِها *** كجيد ِ الفتاة ِالرُّود في لؤلؤ العقدِ

يحاول ابن زيدون الهروب من واقعه الذي تؤثر عليه الحالة النفسية بقوله: (هُبّ إلى اللذات مؤثر راحة) مستخدماً فعل الأمر للجوء إلى مكان الراحة مؤكداً طلبه باستمرارية الشرب بقوله (ووال بها)، راسماً صورة فنية تتخللها ألفاظ الغزل الصريح بتشبيه الفقاعات المتطايرة من فوّهة كأس الخمرة بحبات اللؤلؤ ذات المنظر الزاهي في عنق فتاة حسناء. فنجح ابن زيدون نجاحاً باهراً عندما أسقط أبيات الخمرة على الغزل من خلال تشبيه مادي رائع مستخدماً الصور الفنية في إبراز الشكل الجميل لها قائلاً: (الديوان: 84)

لأميلَ في سكر اللّهى فيبيت لي *** مما حوى ذاك السّوارُ وسادُ

يوضح الشاهد مدى تأثير الخمرة عليه مسقطا ذلك على حبه لإحدى الفتيات. ويقول رابطاً علاقة اصطباحه بمحبوبته –التي هي ربما الخمرة -وما يعقبها من نشوة تأخذ صاحبها إلى حيث المُتعة كما في قوله: (الديوان: 66)

تُحييني بريحان ِ التحفّي *** وتُصبحني مُعتّقـة ِ السّمـاح ِ

فها أنا قد ثَمِلتُ من الأيادي *** إذ اتّصل اغتباقي في اصطباحي

فالخمرة جزء لا يتجزأ من حياة جُلّ الشعراء على مرّ العصور، وبرزت بقوة في نتاجهم الأدبي والفكري، وعبروا عنها بكل ما أوتوا من معرفة، وبينوا مدى تأثيرها في النفس والجسد، وكل ذلك لما لها من أهمية، فهي مصدر راحة وسعادة مع الحبيب وجسر عبور لنسيان الهموم وفراق الأحبة (عيد، 2006، ص612)، وفي موضع آخر يقول في مدح المعتمد بعد توليه مقاليد الحكم بصورة طريفة: (الديوان: 396)

أهابَت ِ إليـه بـالقُلُـوب مَحَبّـــةٍ *** هي السّحرُ للأهواء ِ بل دونَها السّحـرُ

سَرَتْ حيث لا تَسرى من الأنفُس المُنى *** ودبّت دبيباً لَيسَ يُحسنُـه الخمــرُ

مليك لـه منـا النصيحة والهــوى *** ومنه الأيادي البيض والنّعم الخضر

بصورة جميلة يشبه محبة الممدوح التي احتلت قلوب الناس؛ إذ يصفها بأنّ لها تأثيراً كالسحر، وقد جعل سيرها (كالدّبيب) أي تدبّ في جسم الإنسان، فحتى الخمر التي تُذهب بعقول شاربها فهي لا تحس ذلك، في محاولة لتصوير تلك المحبة التي امتلكت النفوس وسلبت العقول فلا يصل لها شيء، فنراه قد استمدّ صورته التشبيهية من مجالس الأنس وما يحيط بها (ابراهيم وعبد الكريم، 2016، ص58).

المبحث الرابع: الخمرة وتأثيرها في حالة ابن زيدون النفسية

لقد كان ابن زيدون شديد الإحساس باللغة وهي تقف أمام مقاصده الشعرية، وقد جمع شعره بين الفخامة والسلاسة في الأساليب والتراكيب اللغوية، هذه البساطة في تركيب الألفاظ في أسلوبه، وفي تركيب عناصر التشبيه في صوره يُميط اللثام عما كانت عليه نفسيته من اهتمام بالجمال، دون تفلسف، ونزوع إلى البساطة في المواقف وفي

النظر إلى الأشياء دون تعقيد، فضلاً عن إيمانه بأثر الشعر في النفس، واهتزاز الوجدان العربي به، فنجد شعره يتفاوت في أجوائه ومُعطياته النفسية وصوره وتشبيهاته، وإن كانت جميعاً تقوم على الوصف (رحيم، 2013، ص10-11).

وإذا ما وقفنا أمام النصوص الأدبية الخاصة بابن زيدون وما تحويه في مونولوجها الداخلي للباثّ وتأثيرها على المتلقّي؛ وجدناها تبدو كالمرآة في انعكاس تلك الحالة النفسية على شعوره وانفعالاته، والشعر هو ذلك الانعكاس للحالة التي يعيشها الشاعر، مترجماً بمقطوعة شعرية أو قصيدة أو أبيات ومحاولة من الشاعر أن يبيّن أثرها على المتلقي في أي ميدان من تلك الميادين، من خلال دراسة التداعيات النفسية في الأعمال الأدبية ودراسة القوانين التي تحكم هذه الأعمال في دراسة الأدب، وربط الأدب بالحالة النفسية للأديب. فعلى الرغم من الهوان الذي أحاط بابن زيدون وهو قابع في السجن في قرطبة وشعوره بالظلم، وتعبيره عن إسراع الأسى يبدع في مدح سجّانه شاكياً حاله: (الديوان: 280)

وغريضُ الدلالِ غضٌّ جنى الصّبوة *** نشوانَ من سُلاف النعيـم

طالما نافَرَ الهوى منه غـرٌّ *** لم يطُل عهدُ جيده بالتميم

واصفاً حالته النفسية التي يعيشها في السجن ومسقطاً عليها صفة الثَمِل من خمرة النعيم رغم الوضع البائس الذي يعيش فيه، وجنى الصبوة تشير إلى ثمار الشوق وذكر هذا التركيب مقترناً مع نشوة الخمر في آن واحد تعكس الصورة التي يريد الشاعر أن يوصلها للمتلقي في مدحه لابن جهور إبان مكوثه في السجن، فأي حالة نفسية تلك التي تؤدي بالإنسان لمدح الآخر وهو قابع في غياهب السجن. فلم تكن الخمرة بمعزل عن السياسة وعن الحالة النفسية التي مر بها ابن زيدون عند تواجده في السجن قائلاً: (الديوان: 197)

وإن يك رُزءاً *** ما أصاب به الدّهر

ففي يومنا خمرٌ*** وفي غدهِ أمرُ

مستخدماً أسلوب التضمين باستحضاره لمَثَل يُعزى إلى المُهلهل وإلى امرئ القيس أي اليوم لهو وغداً ما يشغلنا من الأمور. فكان لزاماً على الباحث أن يسبر أغوار أشعار ابن زيدون وما تحويه من صور شعرية بعد أن استعان بالخمرة في تخفيف همومه، وسنقف عند استخدامه للكنايات في وصفها تارة وسيلة من وسائل تبديد الأحزان عن نفسه؛ فتارة يُكنّي عنها بالدواء، قائلاً: (الديوان: 128)

ولمّا أن هجرت وطال غُفري *** عقرتُ هموم نفسي بالعُقار

وتارة أُخرى ينفي عنها صفة الدواء فيصفها بالداء المُضرّ: (الديوان: 129)

ولم أهجُر لعتبٍ غير أنّي *** أضرّت بي مُعاقرة العُقار

وهو بهذا لا يوقع نفسه في تناقض إنما هي محاولة للهرب من هذا الوجود الذي أثر على نفسيته، مهاجراً إلى عالم اللاوجود حيث ذهاب العقل، مما يبدو أن اقتران ورود العُقار بالهجر في شعره يرتبط بعقدة نفسية تختلف في المضمون عن غيرها من الحالات التي ورد ذكرها في ثنايا الدراسة.

ومن القصائد التي أبدع الشاعر في نظم أبياتها هي سينيته وعنوانها (يجرح الدهر ويأسوا) التي خاطب بها الوزير أبا حفص بن برد وأرسلها إليه من سجنه، متمكناً من صهر عواطفه الجياشة في قالب فني قل مثيله، ومطلعها: (الديوان: 138)

ما على ظنّي باس *** يجرحُ الدهرُ وَيَاسُـو

ربما أشرف بالمَـر *** ء على الآمـال يـاسُ

ولقد يُنجيك إغفـا *** لٌ ويُرديك احتـراسُ

والمحاذيرُ سهامٌ *** والمقادير قياسُ

طارحاً للمتلقي تفاؤله بالتحرر في القريب العاجل باستخدامه المبهر لفنون البلاغة التي تظهر جلية من خلال تشبيه ضمني واستعارة تمثيلية وردت في قوله: (الديوان: 138)

إن قسا الدهرُ فللماء *** من الصخر انبجاس

وَلَئن أمسيتُ محبوساً *** فللغيث احتباس

ويبدو فعل الشرط في العبارتين " قسا الدهر، أمسيت محبوساً " معبراً عنه بضمير الأنا بطريقة مباشرة، أما الطرف الثاني فهو مستعار من قانون الطبيعة " للماء من الصخر انبجاس، للغيث احتباس " وفي هذا الفضاء المستعار يوظف قانون الطبيعة غير القابل للتشكيك أو النفي في سبيل إثبات الحالة ومقايستها بحالة المشبه، مما يقنع الأنا ثم القارئ الذي يبحث عن سعادة الإدراك، (هول، 2004، ص127) بأن الحالة النفسية للشاعر قد أثرت عليها قيود السجن التي تدفع به لشرب المزيد من الخمرة هروباً من الواقع.

ومن هنا نستطيع أن نتفهم تلك البناءات الإنشائية المتلاحقة في الأبيات الأخيرة ما بين الأمر: أدِرْ، اغتنم، والنهي: من قبيل: لا يكن، فالأنا الشاعرة بعد كل محاولات الإقناع بعكس الظاهر ما زالت بحاجة إلى أن تبوح بسرها وتقدم لائحة مطالبها، (جابر، 2016، ص140) يقول الشاعر: (الديوان: 138)

لا يكُن عهدُك ورداً *** إنّ عهـدي لـك آس

وأدِر ذكري كأساً *** ما امتَطَت كفّك كأس

واغتنِم صفو الليالي *** إنما العيشُ اختلاس

وكذلك يطالعنا الجانب النفسي للأوزان العربية؛ فالشاعر لا يختار وزناً إلا ويكون هذا الوزن مجانساً لحالته النفسية والشعورية، ولموضوعه الذي يريد أن يخوضه، ومما تجدر به هنا الإشارة إلى حرف السين لأنه من أحرف التنفيس ولما كان يعاني ابن زيدون من كبت وضيق حالته النفسية.

وفي النهاية، فإن الشعر الذي نظمه ابن زيدون في الخمرة ؛ كان حجة راهنة أمام المتلقي في كشف الحالة النفسية التي جعلته يبدع في إقحامه لهذا اللون من الشعر في معظم قصائده، مستمداً أروع الصور في حَبك مقطعاته الشعرية لتتوائم وهروبه من الضغوطات التي توالت عليه في حياته.

الخلاصة

اتّضح من خلال البحث والاستقصاء في ديوان الشاعر ابن زيدون بأنه قد زخر بشعر الخمرة، ومن أبرز النتائج التي تمخّضت عنها الدراسة:

ورد ذكر الخمرة في ديوان ابن زيدون بأسماء متنوعة منها: (الخمر، الصّهباء، الشّمول، القهوة، الرّاح، المُدام، العُقار، والسُّلاف)، فكان لها الحضور الواضح في ديوانه الذي تجلّت به أهم الطقوس والعادات التي عاشها الأندلسيون برهة من الزمن. وبدى واضحاً من خلال الدراسة أن ابن زيدون قد احتذى حُذو الشعراء في العصور الأولى فاقتفى أثرهم وسار على نهجهم وتأثر بهم، فلم يكُن بمعزل عن جذور الشعر العربي في بدايات عهده.

وأظهرت الدراسة أن ابن زيدون عاش مرحلة نفسية عَسِرَة استدعته لشرب الخمر في الكثير من الأحيان، وما كان يعتريه من هموم وأحزان دفينة أثقلت نفسيته فظهرت انعكاساتها جلية على شعره، فلم يكن بمنأى عن ذكر الخمرة في أشعاره التي نظمها إبان مكوثه في السجن، ومعبّراً عن ضيق حالته النفسيّة اليائسة بأروع قصائد الغزل عند فراقه لمحبوبته؛ بعد أن ذاع صيت حب ابن زيدون لولادة بنت المستكفي ثم فراقهما.

واتضح من خلال الدراسة أن الخمرة كانت من أنفَس الهبات والعطايا التي تُهدى مِن وإلى الملوك والأمراء، وكانت تُهدى إليهم مرفقة بقطع من الشعر. وبان في هذه الدراسة تشوّق الأندلسيّون لشرب الخمرة أثناء تمتّعهم بالطبيعة الخلّابة ومجالس الأُنس والخمرة التي كانت تُعقد في أحضان الطبيعة، التي كانت تفتق قرائح الشعراء بأجود أبيات الشعر في الطبيعة والخمرة في آن واحد.

التوصيات والمقترحات.

وفي النهاية يوصي الباحث بضرورة عمل دراسات وبحوث ترصد هذه المحاور التي زخرت بها دواوين شعراء الأندلس، مع بيان الغرض الرئيس من تناول الشعراء لهذا الضرب من الشعر، ودوره في التأثير على نفسية الشاعر التي تنعكس على قرض الشعر، وإسقاطه ظاهرة معينة تحتل مكانة كبيرة في القصيدة، مما يستدعي من الدارس التركيز عليها كونها مفتاح القصيدة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إبراهيم، باسم محمد وعبد الكريم، منى رفعت: "صورة أداة التشبيه عند ابن زيدون"، مجلة ديالي، العدد 69، جامعة ديالي، 2016 م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت711هـ)، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، 1999م-1419هـ.
- اختيار، أسامة: الشعر العربي في جزيرة صقلية اتجاهاته وخصائصه الفنية منذ الفتح حتى نهاية الوجود العربي فيها، ط1، وزارة الثقافة، دمشق، 2008 م.
- الأندلسي، ابن حزم (ت456هـ): طوق الحمامة في الألفة والألاّف، (تحقيق وتقديم صلاح الدين القاسمي)، دار الشؤون الثقافية العامة: العراق. 1989م.
- الباجلاني، آزاد محمد كريم: القيم الجمالية في الشعر الأندلسي عصري الخلافة والطوائف، ط1، المكتبة المركزية/ جامعة الأنبار، 2013م، 1413هـ.
- البستاني، بطرس: محيط المحيط (قاموس مطوّل للغة العربية) مكتبة لبنان، بيروت –لبنان/1977م.
- جابر، ناصر يوسف: "البُنى الأسلوبية في سينية ابن زيدون"، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية/الجامعة الأردنية، مجلد 43، العدد1، 2016
- حمود، عبادي عبد العباس: "أثر شخصية الشاعر الجاهلي في الشعر الأندلسي (أصحاب المعلقات أنموذجاً) – دراسة نقدية"، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 42، 2016 م
- حوران، صديق بتال: "الشعر الخمري عصر سيادة قرطبة"، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد 13، 2008م.
- الحيالي، نادية فتحي هادي حمادي: "دلالة التكرار في نونية ابن زيدون"، مجلة آداب الرافدين، العدد 68، 1435هـ، 2013 م.
- خضر، فوزي: عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004م.

- الذهبي، الإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، رتبه وزاد فوائده واعتنى به حسان عبد المنّان، ج1، بيت الأفكار الدوليّة، لبنان -2004م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت660هـ): مختار الصحاح، تحقيق (محمود خاطر)، المطبعة الأميرية: القاهرة، 1925م.
- رحيم، مقداد: "الصورة البلاغية في شعر ابن زيدون"، مجلة التراث العلمي العربي، الجامعة المستنصرية، العدد 1، 2013 م.
- السعيد، محمد مجيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ط2، الدار العربية للموسوعات والنشر، بيروت / لبنان، 1985م.
- الشكعة، مصطفى: الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار الملايين، بيروت/1973 م.
- الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (ت542هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان/ 1978م.
- صدقي، عبد الرحمن: ألحان ألحان، دار المعارف/ القاهرة – مصر، 1957م
- عبد الله، علاء طالب: "اللون في الأغراض الشعرية (ابن زيدون وابن خفاجة)"، مجلة الجامعة العراقية، العدد (3/31)، 2013 م
- العوادي، الحبيب: "تجربة ابن زيدون العاطفية مع ولادة من خلال شعره الغزلي –مقاربة دلالية إسلوبية"، مجلة دراسات أندلسية، العدد (26)، 1422 هـ ، 2001م
- عيد، يوسف: دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والأعلام، المؤسسة الحديثة للكتاب ناشرون/لبنان-بيروت.2006م.
- غريب، جورج: شعر اللهو والخمر تاريخه وأعلامه (الأعشى – الأخطل – أبو نواس) ، ط3، دار الثقافة –بيروت – لبنان، 1979 م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين (1995): القاموس المحيط، ضبطه: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر بيروت
- القيسي ، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله القيسي الملقب بابن خاقان (ت528 هـ): قلائد العقيان، صححه وحققه وعلق عليه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور –الدار التونسية للنشر، تونس/1990م.
- المخزوميّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون: ديوان ابن زيدون، شرح يوسف فرحات، ط2، دار الكتاب العربي –بيروت، لبنان، 1415هـ/1994م.
- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس دار صادر: بيروت 1988م، ج3، ، ص566
- موسى، صاحب رشيد والجاف، فاضل محمد قادر: "جدلية موضوعة الهمّ في شعر ابن زيدون"، مجلة الجامعة العراقية، المجلد 36، العدد 1، جامعة طهرمان، 2016 م
- النوش، حسن: التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، دار الجيل –بيروت 1990
- هول، روبرت.سي: نظرية الاستقبال، ترجمة: رعد جواد، دار الحوار، ط1، سوريا، 2004م